



(قد تطولُ الأعماُرُ لا مجَدَ فيها *** ويضمُ الأمجادَ يومٌ قصيري)

أهلنا في سوريا الكرامّة والعزّة، أهلنا في حوران، درعاً الأبية وما جاورها من مدن البطولة، أهلنا في حمص العصيّة، أهلنا في حماة الباسلة، أهلنا في إدلب الصابرة، أهلنا في رستن البطولة.

أهلنا في جسر الشغور المنيعة، أهلنا في جبل الزاوية، أهلنا في معرة النعمان، أهلنا في الزيداني ومضايا والمعظمية ودوماً وحرستاً، أهلنا في الساحل المجاهد، أهلنا في اللاذقية وبانياس وجبلة بلد القسام، أهلنا في دير الزور والجزيرة، في القامشلي وعاموداً والدرباسية، أهلنا في المدن والأرياف والقرى في سهول بلاد الشام المباركة وجبالها، يا من سجّلت سطور ملحمة من البطولة والتضحية والفاء والبذل والعطاء ستظلّ حديث التاريخ إلى أن تقوم الساعة، ولهم لكم من علاماتها، لكم تحية إكبار، ولشهدائكم المجد، ولجرحائكم الأجر والشفاء العاجل - بإذن الله -.

كلّم هممت بالكتابة إليك تلعمت الكلمات، وفرّت الأفكار، وتلاشت المعاني؛ فكلّ كلام نكتبه هو أدنى من شعاراتكم وهتافاتكم، وكلّ فعل نفكّر فيه هو أدنى من دماء شهدائكم وجرحائكم، وكلّ ألم يقضّ منا المضاجع هو أدنى من آلامكم، فلا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم، إليه نلجمّأ وبه نستعين، هو وحده الناصر والمعين، فما خاب من لجأ إليه، وما ندم من استعان به، فهوئياً لكم نصره وتبنته.

الوحش الأب والوحش الابن:

يقول الإمام عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - : "أشقي الرّعاة من شقيّت به رعيته". فما أشقي الوحش الأول، وما أشقي الوحش الثاني! إنْ جاز لنا أن نعتبرهما من الرّعاة المشمولين بقول الإمام، وما أشقانا بهما، فقد ولغ الشقيقان الشقيقان (حافظ ورفعت) في دمائنا على مدى عقود، ليتركا المهمة من بعدهما للشقيقين الشقيقين (بشار وماهر) فتبأ لهم، وتبأ لمهمتهم القدرة.

إنّ من يتحدّث في الشأن السّوريِّ، عليه أن يكون دقّيّاً في استخدام المصطلحات؛ لتكون الألفاظ مطابقة لمعانيها ومدلولاتها، فمن يتحدّث عن نظام حاكم في سوريا يخطئ في المصطلح، ويتجنّى على الحقيقة؛ فالطّغمة الحاكمة في سوريا منذ الوحش الأب إلى الوحش الوريث، هي خارج كلّ الأنظمة والقوانين والدّساتير، منفلترة من كلّ إطار شرعي، بل هي خارج الزّمن والتّاريخ، فقدت الإحساس البشريِّ، بل هي لم تمتلكه في يوم من الأيّام - لا أقول المشاعر الإنسانية؛ فهي أبعد ما تكون عن ذلك - وعاثت في الأرض فساداً وإفساداً، فتكت بالشعب الأبيِّ المقهور على مدى نصف قرن بأشدّ أنواع الفتك وأبشعها،

قتلت على الشّبهة، ونكبت على الظنّ، وعذّبت للتجربة، وشردت للأذى، ومثلت للتشفي، ومارست كلّ أنواع الموبقات والأحقاد في حقّ الوطن والمواطن.

وغدت سوريا -بكلّ عظمتها وتعدد مكوناتها، وتاريخها الضارب في عمق الزّمان- إضافة لفظيّة لاسم القائد الفذ (سوريا الأسد)، وغداً أهل سوريا في ظلّ الهزيمة والصلف الأسديّين أسرى لرعونة الحاكم وزواجه، ليسوا بالأموات ولا بالأحياء، كما وصفهم الشاعر الكبير بدوي الجبل (الذي عاصر في أيامه الأخيرة بداية الصناعة الحثيثة والعجلى للصنم الأول) في قصيده الشهيره (من وحي الهزيمة) التي تعرضت بسببها لمحاولة اغتيال يائسة، وهذه القصيدة هي سجل صادق للمأساة التي حلّت بالشعب السوري، وما زالت مستمرة بحكم الوراثة والتوريث، وفيها استشراف لما ستؤول إليه الأحوال، وبشارات بالعودة إلى خيارات الشّعوب.

ليت بشار الجعفريقرأ شيئاً منها في مجلس الأمن ليتأكد المجلس من النعيم الأسدي الذي يرفل بحاله الشعب السوري، أو ليته يهمس بها بإذن ابنته (شهرزاد) لترسلها لشهيارها، لعله يعقل شيئاً منها:

أغورُ على الفرار؟! لقد ذاب *** حياءً من الغرور الغرور
جَبْنَ الْقَادِهُ الْكَبَارُ وَفَرُوا *** وبكى للفرار جيشُ جسورة
هُزِمَ الْحَاكِمُونَ، وَالشَّعْبُ فِي *** الأصفاد، فالحُكْمُ وحده المكسورُ
هُزِمَ الْحَاكِمُونَ، لَمْ يَحْزُنِ الشَّعْبُ *** عليهم، ولا انتخى الجمهورُ
وَانْسَ عَطْرَ الشَّامَ، حِيثُ يَقِيمُ *** الظَّلْمُ تَنَاهَى.. ولا تقيِّمُ العطورُ
ثُمَّ أَمْلَى الطَّغَاهُ أَنْ يَبْغُضَ النُّورَ *** علينا ويعشقُ الديجورُ
نَحْنُ أَسْرَى، وَلَوْ شَمَسْنَا عَلَى الْقِيدِ *** لَمَا نَالَنَا الْعُدُوُّ الْمُغِيرُ
نَحْنُ أَسْرَى، وَحِينَ ضَيَّمَ حَمَانَا *** كَادَ يَقْضِي مِنْ حَزْنِهِ الْمَأْسُورُ
كُلُّ فَرِيدٍ مِنَ الرَّعْيَهِ عَبْدٌ *** وَمِنَ الْحُكْمِ كُلُّ فَرِيدٍ أَمِيرٌ
نَحْنُ مَوْتَىٰ! وَشَرَّ ما ابْتَدَعَ الطَّغَيَانُ *** مَوْتَىٰ عَلَى الدُّرُوبِ تَسِيرُ
نَحْنُ مَوْتَىٰ! إِنْ غَدُونَا وَرْحَنَا *** وَالْبَيْوتُ الْمَزَوَّقَاتُ قَبُورُ
نَحْنُ مَوْتَىٰ! يَسِرْ جَارٌ لِجَارٍ *** مَسْتَرِيبًا: مَتَى يَكُونُ النَّشُورُ
بَقِيَتْ سَبَّةُ الزَّمَانِ عَلَى الطَّاغِي *** وَيَبْقَى لَنَا الْعُلَاءُ وَالضَّمِيرُ
اشْتَرَاكِيَّهُ؟! وَكَنْزٌ مِنَ الدَّرِّ *** وَزَهْوٌ وَمَنْبَرٌ وَسَرِيرٌ
اشْتَرَاكِيَّهُ تَعَالِيهَا: الإِثْرَاءُ *** وَالظَّلْمُ وَالخَنَاءُ وَالْفَجُورُ
اشْتَرَاكِيَّهُ! فَإِنْ مَرَ طَاغٍ *** صَفَ جَنْدُهُ وَدَوَى نَفِيرُ
كُلُّ وَغَدِّ مَصْعُرُ الْخَدَّ لَا سَايُورَ *** فِي زَهْوِهِ وَلَا أَزْدَشِيرُ
نَهْبَا الشَّعْبَ، وَاسْتِبَاحَ حَمَى الْمَالِ *** جَنُونُ النَّعِيمِ وَالْتَّبَذِيرِ
كَيْفَ يَغْشِي الْوَغْيَ وَيَظْفَرُ فِيهَا *** حَاكِمٌ مَتْرُ وَشَعْبٌ فَقِيرٌ
مَزْقُوهُ، وَلَنْ يَمْزَقَ الشَّعْبُ، فَالشَّعْبُ *** عَلِيمٌ بِمَا أَرَادُوا خَيْرُ
حَكْمُوهُ بِالنَّارِ فَالسَّيْفُ مَصْقُولٌ *** عَلَى الشَّعْبِ حَدَّهُ مَشْهُورُ
مَحْنَةُ الْعُرْبِ أَمَّهُ لَمْ تَهَادِنْ *** فَاتَّحِيَهَا وَحَاكِمٌ مَأْجُورٌ
هَتَّكُوا حَرْمَةَ الْمَسَاجِدِ لَا جَنْكِيزَ *** بَارَاهِمٌ وَلَا تِيمُورُ

قحومها على المصليين بالنار *** فشلُوا يعلو وشلُوا يغورُ
 أمعنا في مصايف الله تمزيقا *** ويدو على الوجه السرورُ
 ففئت أعين المصليين تعذيبا *** وديست مناكب وصدرُ
 ثم سيقوا إلى السجون، ولا تسأل، *** فسجّانها عنيف مريءُ
 يشبع السوط من لحوم الضحايا *** وتأبى دموعهم والزفيرُ
 مؤمن بين آلتين من الفولاذ *** دام ممزق، معصوبُ
 هتفوا باسم أحمد فعلى الأصوات *** عطر وفي الأسارير نورُ
 هتفوا باسم أحمد فالسياط الحمر *** نعمى وجنة وحريرُ
 طرف أتباع أحمد في السماوات *** وطرف الطاغي كليل حسیرُ
 ارجعوا للشعوب يا حاكميها *** لن يفيَ التهويل والتغريبُ
 صاروها.. فقد تبدلت الدنيا *** وجدت بعد الأمور أمورُ
 لا يقود الشعوب ظلم وفقر *** وسباب مكرر مسحورُ
 والإذاعات! هل تخلعت العاهر؟ *** أم هل تقينا السكيز؟!
 صاروها.. ولا يُعطِ على الصدق *** ضجييج مزور و هديرُ
 واتفقا ساعة الحساب إذا دقت *** في يوم الحساب يوم عسيرُ
 يقف المتهمن وجهًا لوجه *** حاكم ظالم وشعب صبورُ
 كل حكم له - وإن طالت الأيام - *** يومن: أول وأخيرُ

وعلى ذكر بشار الرئيس وبشار الدبلوماسي واستشهاد الأخير ببيت نزار الذي انتزعه من سياقه انتصاراً لسميه بشار على العرب والجامعة العربية:

دمشق، يا كنز أحلامي وموحتي *** أشكو العروبة أم أشكوك لك العربا

فهو استشهاد غير موفق؛ إذ القصيدة فيها ذكر لحزيران، وأل الأسد جمِيعاً لا يطيقون سماع اسم هذا الشهر لما له في ذاكرتهم من ظلال داكنة تختلط مع المعاني الناصعة المداعة للممانعة والصمود التي تعايشهم ويعايشونها في نومهم وصحوهم، في حلهم وترحالهم، ويحتفظون دوماً لما تملئه عليهم هذه المعاني - بحق الرد الهادئ والرّصين على اعتداءات المعدين بالوقت المناسب والطريقة المناسبة:

أدمنت سياط حزيران ظهورهم *** فأدمنوها وباسوا كف من ضربا
سقوا فلسطين أحلاماً ملونة *** وأطعموها سخيف القول والخطبا

أما كان الأجدر به أن يمارس دور ابنته (شهرزاد) في توعية القائد الملهم ويقرأ لسيده قصيدة نزار التي تصور الحال أدق تصوير:

منذ أن جئت إلى السلطة طفلًا
لم يقل لي مستشار القصر كلامًا
لم يقل لي وزير أيًّا لفظة كلامًا

لَمْ يَقُلْ لِي سَفَرَائِي أَبْدًا فِي الْوِجْهِ كَلَّا
إِنَّهُمْ قَدْ عَلَمُونِي أَنْ أَرَى نَفْسِي إِلَيْهَا
وَأَرَى الشَّعْبَ مِنَ الشَّرْفَةِ رَمَلاً
فَاعذُرُونِي إِنْ تَحَوَّلْتُ لِهُولَكَوْ جَدِيدٍ
أَنَا لَمْ أُقْتَلْ لَوْجِهِ الْقَتْلِ يَوْمًا
إِنَّمَا أُقْتُلُكُمْ كَيْ أَتَسْلِي

لعله يكف عن التسلية بقتلنا وقتل أطفالنا والتّمثيل بهم أحياء وشهداء، ويبحث عن تسلية أخرى خارج حدود وطننا الحبيب.

صناعة الصنم:

(تأله الفرد حيناً ثم عاصفة *** هداره فكان الفرد ما وجدا)

يقول نزار آغري: "الطغاة لا يهبطون من السماء بل يظهرون رويداً بقدر ما يكره المترافقون ويتصاغر المتملقون من حولهم" نعم، إنها نظرية صحيحة في الصناعة المحلية للطاغية، التصفيق الحر في مجالس الشعب الملفقة، والغفلة الحادة للمواطن المشغول بلقمة العيش، والانسياق الأعمى وراء الشعارات المضللة، وتصديق الدعاوى الكاذبة، كلها عوامل تساعد في صنع الطغاة، ولكن الصنم الذي احترق سوريَا وتحرق اللحظة كلها مدناً وقرى وسكناناً - أطفالاً ونساءً وشيوخاً وشباباً ورجالاً عزلاً - بأفاعيله وأفاعيل الأصنام التي تناست منه ليس صناعة محلية على الإطلاق، هو صناعة من طراز خاص، قام عليها صناع مهرة، أصحاب مهنة عريقة في تضخيم الأقزام، وتقريب الأغراب ودمجهم في الشعوب التي يراد لها أن تقاد، كلفت شعبنا جزءاً عزيزاً من وطنه، وقلعة من قلاع صموده، وسوراً يحمي حدوده - الجولان السليمي -، ونالت من كرامته وحرّيته ولقمهه وأمنه على مدى عقود، وأن لهذه الأصنام أن تتحطم.

(يسومُنَا الصَّنْمُ الطَّاغِي عِبَادَتِهِ *** لَنْ تَعْبُدَ الشَّامُ إِلَّا الْوَاحِدُ الْأَحَدُ

وجه الشام الذي رفت بشاشته *** من التعيم لغير الله ما سجدا)

الأصنام والأطفال:

{وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ}. آل عمران.

أحبابي: حمزة الخطيب وإخوانه وأخواته، شهداء ملحمة الفداء، لا تتمكن من كتابة أسمائكم؛ فأسماؤكم في سجل الخلود، أرواحكم في حواصل طير خضر في ظلّ العرش، أنتم في نعيم الجنة عند كريم مقتدر، اتّخذ منكم شهداء، فأي تكريم هذا التّكريم، وأي اصطفاء هذا الاصطفاء، فهنيئاً لكم هذا التّكريم، والمجد في الدنيا والآخرة لمن أنجبوكم، والفخر لنا أنّ عشنا في عصر مررت به كراماً مسرعين قبيل التحاقكم بنُزُلكم التي اختارها لكم بارئكم، حتى إن بعضكم لم ينتظِر إلى أن يتّخذ اسماً دنيوياً، أو يعرف أمماً، أو يقبّله أب أو شقيق!! ما أعجزنا عن مجاراتكم، يدك المرفوعة بإشارة النصر يا حمزة نغمض عليها العين ونفتحها، يدك المرفوعة يا ولدي أخافت دباباتهم ومدافعهم وصواريχهم، جعلتهم يفقدون صوابهم، كيف لشعب استعبدوه بالحديد وبالنار ينجب مثل حمزة، ما أضعفنا ونحن نتخلى عن دورنا لكم، كان علينا أن نقوم بما قمنا به من سنين، وما كان لنا أن نحملكم أوزارنا وضعفنا وحبّنا لهذه الفانية، لكنّها الحظوظ يا ولدي، حظوظكم في السماء، وحظوظنا في الطين. إني أتلمس لي حظاً في مخاطبتك يا ولدي؛ فقد جمعتم بين شرفين لا يعلو عليهما شرف:
- شرف الطفولة وبراءتها.
- وشرف الشهادة وقدرها.

ثم زدتكم عليهما شرف البطولة التي أصبحتم سادتها بلا منازع، بتصوركم العاربة – إلا من البراءة التي لم تعرف الضغائن والأحقاد، تلقيتم أبغض ما يلقاه إنسان على وجه هذه الأرض، بلا ذنب اقترفتموه، ليس لكم ذنب، ذنبكم الوحيد أنكم عشتم في عصر بشار، وفي بلد اغتصب السلطة فيه أب لبشار وأعاد اغتصابها بشار، ثق يا ولدي حمزة، لو أن الوحش التي افترست جسدك الطاهر عرفت معنى الإنسانية ما احتجزتك، ولو أنها عرفت معنى الطفولة ما آذتك، ولو أنها مرت إلى البشر بصلة ما مثلت بجسده!! لو أنهم عرروا معنى الشهادة وقدر الشهيد ما مكنوك من نيلها، لو أنهم بشر ككل البشر لأطعموك حلوى، وقالوا لك كلاماً يقوله الناس للأطفال في مثل هذه الأحوال، وأعادوك إلى بيتك راضياً وهم راضون، لو أنهم بشر يا ولدي لكنهم.. لكنهم..

(ويا رب من أجل الطفولةِ وحدَها *** أفضنْ بركاتِ السَّلَمِ شرقاً ومغرباً
وصنْ ضحكةَ الأطفالِ يا رب إنها *** إذا غرَّدَتْ في موْحشِ الرَّمْلِ أعشباً
ويا ربْ حبْ كُلَّ طفْلٍ فلا يرى ** وإنْ لَجَّ في الإِعْنَاتِ وجَهًا مقطبَاً
وهيئَ لَهُ فِي كُلِّ قَلْبٍ صِبَابَةً *** وَفِي كُلِّ لُقْبَاً مَرْحَبَاً ثمَّ مَرْحَبَا)

الجيش الحر:

تحية إجلال وإكبار للمجاهد الكبير البطل المقدم حسين هرموش فك الله أسره – إن كان حياً –، ورفعه إلى عليين إن كان قد نال الشهادة، وتحية للقائد المجاهد البطل العقيد رياض الأسعد وإخوانه الأشاوس من ضباط وصف ضباط وأفراد الجيش السوري الحر، سدد الله رميكم، وجعل شرف تحرير سوريا على أيديكم النظيفة، وأيدي الشباب المجاهدين في التنسيقات، خالد أبو صلاح وأمثاله من شباب تفخر بهم الدنيا، بعون من الله وحده.

إلى الغارقين في الوهم للتذكرة (مختارات من ترانينا):

- "أيها الناس: إني قد وليتُ عليكم ولستُ بخيركم، فإنْ رأيتموني على حق فأعينوني، وإنْ رأيتموني على باطل ففسدّوني. أطیعونی ما أطعْتُ الله فیکم، فإذا عصیْتُه فلا طاعةَ لِی علیکم، ألا إنْ أقوامَ عَنْدِي الْمُضَعِّفَ حَتَّى آخَذَ الْحَقَّ لَهُ، وأَضَعْفُكُمْ عَنْدِي الْقَوِيَّ حَتَّى آخَذَ الْحَقَّ مِنْهُ". أبو بكر الصديق.
- اقترب أحدهم من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وقال له: "اتق الله يا عمر"، فاعتبره أحد الصحابة زاجراً إيه وقائلاً له: "أنقولها لأمير المؤمنين؟! هنا، قال عمر: "دعه.. فالويل لكم إذا لم تقولوها.. والويل لنا إذا لم نسمعها".
- "يروى أن الإمام أبي حنيفة كان جالساً عند الشاطئ فجاء غلام، واقترب من الماء، فقال له الإمام أبو حنيفة: احذر يا غلام أن تسقط في النهر، فقال له الغلام: بل احذر أنت يا إمام أن تسقط! فنظر إليه أبو حنيفة متعجبًا.. فأكمل الغلام: أنا إذا سقطتُ غلام سقط في النهر ومات! ولكنك إذا سقطت.. سقط العالم خلفك، فزلة العالم زلة العالم.."!